

## الليلة الثانية: الإبداع في الفكر الامامي

### {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ}

الآية المباركة تتحدث عن أن التفاعل من المستمع للفكرة يتفاوت من شخص لآخر، فإذا طرحت فكرة على مجتمع من المجتمعات فهناك من يكون غافلاً عن هذه الفكرة، وهناك من يتفاعل مع هذه الفكرة تفاعلاً جزئياً أو مؤقتاً، وهناك من يلتقط الفكرة ويحولها إلى مسار عملي أو إلى قاعدة سيالية، وهذه الفئة الثالثة هي التي عبر عنها القرآن الكريم بالعالمين. **{وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ}** لكن من يتفاعل معها؟ من الذي يلتقطها ويتفاعل معها فكراً وسلوكاً؟ هم فئة معينة **{وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ}** فالعالم هو الذي يلتقط الفكرة ويبلورها ويحولها إلى منهج عملي وهذه القدرة تسمى بالإبداع. فالإبداع هو أن يمتلك الإنسان القدرة على بلورة الأفكار وتحويلها إلى قواعد ومناهج عملية، ومن هنا ننتقل لنتحدث عن بُعد الإبداع في الفكر الإمامي من خلال محورين:

### محاور المحاضرة:

(1) تعريف الإبداع وعناصره وبيان بصمات علماء الإمامية وأدبائهم على الحضارة الإسلامية.

(2) ما أبدعه علماء الإمامية من نظريات مهمة في مجال الفكر الإنساني.

### 1) تعريف الإبداع وعناصره وبيان بصمات علماء الإمامية وأدبائهم على الحضارة الإسلامية.

هنا تكلم فلاسفة من الشرق والغرب حول مفهوم الإبداع وتحديد عناصره، فطرحت عناصر ثلاثة للإبداع:

#### ❖ التجديد

الإبداع هو أن تعطي الجديد سواءً كان في الفكر أو في البلورة، فهناك من يبتكر الفكر وهناك من يبلور الأفكار ويقوم بإعداد قالب جديد لها وكلاهما إبداع، أما التأليف فهو ليس إبداعاً فهو جمع الأفكار المطروحة في الكتب وترتيبها وإظهارها للناس أما الإبداع فهو أن تقدم الجديد كما ذكر انشتاين.

#### ❖ الإنتاج

كما يقول ادوارد: لا يمكن أن نعتبر إشاعة الفوضى إبداعاً، فالإنسان قد يحدث فوضى في عالم الفكر أو الثقافة أو في القضايا الاجتماعية وهذا ليس إبداعاً، فالإبداع أخذ فيه ما كان فائدة ونتاج فهو ما كان انتاجاً على مستوى الفكر والثقافة الحضارة وليس مجرد تجديد بلا فائدة أو ثمرة.

#### ❖ المنهج العلمي

هناك فرق بين الإبداع وعملية الإبداع، فالإبداع هو القدرة الإلهامية على ابتكار الأفكار، أما العملية الإبداعية فهي تفتقر إلى عنصر ثالث وهو أن تكون الآليات آلية علمية وأن تكون الأطر أطر علمية. فحتى يتحول الفكر إلى عملية إبداعية لا بد أن يخضع للأطر والأسس والمنهج العلمي.

عندما نلقي نظرة على تاريخ الفكر الإمامي منذ عهد الإمام علي (ع) إلى يومنا هذا، هل للمفكرين من الإمامية بصمات واضحة على تاريخ الفكر والثقافة والحضارة؟ نعم الإمامية بما يمتلكون طاقات خلاقة فمتى ما طرقت مجالاً فكرياً وجدتهم في الطليعة ومن الأمثلة:

- ❖ عالم الشعر والأدب: المتنبي، الشريف الرضي، الفرزدق
- ❖ علم الكلام: هشام ابن الحكم، مؤمن الطاق.
- ❖ الكيمياء: جابر بن حيان.
- ❖ الطب: ابن سينا.
- ❖ الفلسفة: صدر المؤلّمين الشيرازي.
- ❖ التفسير: السيد الطباطبائي صاحب الميزان.
- ❖ أصول الفقه: الشيخ الأنصاري، المحقق النائيني، المحقق الأصفهاني، السيد الخوئي.

فالإمامية لهم بصمات واضحة على الفكر الإسلامي وعلى مختلف العلوم الإسلامية.

## 2) ما أبدعه علماء الإمامية من نظريات مهمة في مجال الفكر الإنساني.

### نحدد الحديث في مفهوم الشخصية الإنسانية:

هذا العنوان شغل الفلاسفة والمفكرين وعلماء النفس لما له من آثار ومناهج تنعكس أو ينعكس أثرها على سلوك الإنسان ونتاجنا هذا المحور من مراحل ثلاث:

- ❖ التفكير والإدراك: هناك سؤال مطروح منذ القدم وهو هل الإدراك ظاهرة مادية أو تجريدية؟ فالإدراك عبارة عن الصور المنتقشة في الذهن. فما حقيقة الإدراك وما تفسيره؟ هل هو ظاهرة مادية أو تجريدية؟ هناك علوم متعددة تناولت الإدراك (فيزياء، كيمياء، علم النفس) ولكن هذه العلوم كلها لم تفسر لنا ماهية الإدراك ولم تشرح لنا حقيقة الإدراك. فمثلاً الفيزياء والكيمياء يتحدثان في كيفية إدراك الإنسان للصورة وذلك من خلال انعكاس الأشعة على الجسم المرئي على عدسة العين المبصرة، فالعين السليمة تتفاعل مع هذه الموجات الكهرومغناطيسية كما يعبرون ونتيجة لذلك تنتقش في ذهن الإنسان صورة مماثلة للصورة التي أبصرها. فهذان العلمان لا يمسان الإدراك وإنما يتحدثان عن مقدماته المادية.

علم النفس فيه مدرستان:

- ✓ المدرسة الاستبطانية ووظيفتها تحليل الشعور الإنساني معتمدة على التجربة الوجدانية.
- ✓ المدرسة السلوكية ووظيفتها تحليل السلوك من حيث دوافعه وعواقبه ومن حيث غاياته معتمدة على التجربة الحسية السلوكية.

كلتا المدرستين حامت حول الإدراك ولم تشرح حقيقته فمثلاً النفس لها عدة قوى (الذاكرة، الخيال، الإرادة، الفكر) هذه القوى الأربع هل هي واحدة أم متعددة ولا يستطيع علم النفس أن يجيب على شيء من ذلك.

لأجل ذلك انفسح المجال لعلم الفلسفة عند علماء الإمامية وقالوا أن الإدراك ليس حقيقة مادية وإنما هي حقيقة تجريدية وذلك لوجهين:

- ✓ قد يتعلق الإدراك بأمور غير مادية مثل القواعد الكلية والتي تكون المادة إحدى تطبيقاتها مثل: الواحد لا يصدر منه إلا واحد، لكل معلول علّة، وغيرها. فهذه القواعد الكلية ليست معلومات مادية ولو كان الإدراك مادياً لما استوعب هذه القواعد.

✓ ظاهرة الثبات: فكل مادي يخضع للتغير فهو من سمات عالم المادة والصور الذهنية لا تتغير ولذلك فهي ليست مادة وإنما هي مجردة لأن الثبات من سمات المجرّد.

#### ❖ ما هو سر الشخصية الإنسانية؟

للإجابة على هذا السؤال أمامنا اتجاهان:

✓ اتجاه مادي: الإنسان قابل لا فاعل، أي أنه مادة خام تتشكل بالتفاعل مع عالم المادة فما لم يتفاعل الإنسان مع عالم المادة لا تتشكل شخصيته. ديكرت يقول: (أنا أفكر إذاً أنا موجود) وهو يقصد أن وجود الإنسان بتفكيره وقوام شخصيته بالتفكير وعليه فالتفكير هو سر شخصية الإنسان. وسارتر يقول أن السر هو الحرية والتمرد وأن تحرر الإنسان من القيود هو سر الشخصية الإنسانية. ماركس يقول أن السر هو الإنتاج وتطور وقال أن حركة التاريخ ترجع دائماً لحركة اقتصادية.

فالفلاسفة الثلاثة يتفقون على أن الإنسان مادة قابلة وليست فاعلة وهو يكتسب شخصيته من خلال التفاعل مع عالم المادة.

✓ اتجاه تجريدي: علماء الإمامية يقولون ملامح ثلاثة:

- أن الإنسان ليس مجرد قابل بل هو فاعل: ولا يمكن لأي إنسان أن ينتج تجربة مالم تكن له مفاهيم قبلية فمثلاً إذا أراد أن يثبت أن الحديد يتمدد بالحرارة لا بد أن يكون لديه مفاهيم قبلية كمبدأ عدم التناقض وأن لكل مسبب سبب، وعليه فإن الإنسان قبل أن يتفاعل مع عالم المادة هو صاحب مبادئ ولذلك فهو يكون فاعل وليس مجرد قابل. مثال/  $2 \times 2 = 4$  هذه المعلومات ليست مكتسبة بالتجربة فالإنسان يتعلم الأعداد فقط والتي هي عملية فطرية ديناميكية جبلية وليست حركة اكتسابية.
- السر في شخصية الإنسان هو القدرة على التغيير والتبادل: بما أن الإنسان فاعل وقابل، مؤثر ومتأثر إذا السر هو القدرة على التغيير والتبادل وهذه المرحلة سابقة لمرحلة التفكير وجميع الأسرار التي طرحها الفلاسفة السابقون إنما هي ظواهر إلى سر الشخصية وهذا ما يركز عليه علماء الإمامية على الآية **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾** فكل الأمور ترجع إلى هذه الآية.
- ماركس قال أن المحرك لعجلة التاريخ هو العامل الإقتصادي (الصراع بين المستكبرين والمستضعفين) وهذه النظرة غير صحيحة ولو رجعنا لعلم الاجتماع نجدهم يذكروا نظريات في تحليل المحرك لعجلة التاريخ، هل هو العامل الجغرافي (جغرافية البلد يساهم في إخراج النوابع) والبعض يقول أن العامل هو عامل وراثي، ونحن نرجع المسألة للأصل ونقول مادام سر الشخصية الإنسانية القدرة على التغيير إذا المحرك لعجلة التاريخ هو القدرة على التغيير.

#### ❖ على أي أساس نصف السلوك البشري؟ هنا اتجاهان:

• اتجاه مادي: سلوك الإنسان دائماً استجابة وهذه الاستجابة قد تكون شاذة وقد تكون سوية.

والسلوك الشاذ مرض ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

1. عصاب: أن يمارس الحالة المرضية وهو واعٍ بخطورتها كما يمارس الظالم الظلم.

2. دهان: أن يمارس الحالة المرضية ولا يعي بخطورتها كبعض المتكبرين.

3. شخصية سكوباتية: وهي الشخصية التي تفقد حس المسؤولية.

- اتجاه إسلامي: ينبغي أن يكون التصنيف في السلوك قائم على العنصر النفسي والعنصر الفكري فالقرآن يعبر بالمرض عن مشكلة نفسية **{فَلَا تَخْضَعَنَّ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ}** وتارة يعبر بالمرض عن مشكلة فكرية مثل النفاق الفكري **{فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا}** وعن الإمام علي (ع): ((الكفر على أربع دعائم: النفاق، الفسق، الشك، الشبهة... ثم يقول... والفسق على أربع شعب: العوج، العتو، الغفلة، الفتنة)) فالإمام (ع) مزج بين العناصر النفسية والفكرية فهو قد صنف السلوك على أسس نفسية وأسس فكرية.